بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

أبدأ فأحمد الله العظيم على ما جل ودق من نعمه، وأثنى عليه، وأصلي وأسلم على النبي الكريم في مقام الأسوة الباقية به، ثم أقول:

إنه بعد جد غير متكافئ نحو قرن من الزمان حول موقف العرب، والمسلمين الأوائل، من الرواية الخيالية ومن المسرح، كما جاء بهما الغزو الفكري الأوروبي مع قافلة الاستعمار- يصدر هذا الكتاب بمشيئة الله، ليقدم في أول دراسة عربية موضوعية أصول نظرية "القصص" المتنوع في آداب الشعوب المتناظرة بآدابها، وتراثها، منذ فجر التاريخ، سواء أكان قصصًا "حقيقيًا" يلتزم في أخباره وصياغته خط التعبير عن حركة الواقع.. أو كان قصصًا "خياليًا" موضوعًا ومكلوبًا، لا يعكس في تخيلاته إلا الواقع الوهمي، الذي يهدم الحس العلمي، ويحتجب به البرهان الديني، من حيث ابتعاده ومصادرته للواقع الحقيقي..

أما ركائز هذه الدراسة فهي منهج الصدق التاريخي، والعلمي، والبياني، في قصص القرآن الكريم، وفي المنهج المستخلص من حياة العرب، وأشعارهم وحكمتهم، وقصصهم قبل الإسلام.. وهما منهجان متفقان ومتسقان في قضية التعبير، ومفهوم القصص، ورغم هذا الفارق الجلي الذي يكون بين "الإلهي" و"البشري" في البيان عن حقيقة علمية واحدة..

فمنذ ما قبل الإسلام، وعند نزول القرآن وإشراقه، كان ولا يزال المنهج العربي التعبيري والديني في تناول القصص واضحًا في أنه منهج

الصدق المبين، والحي، والمتجدد، في التعبير عن حركة الواقع ودلالاته في حياة الإنسان والمجتمع. ولكن خلال عصور الشتات، والظلام، التي تعاقبت على الوطن العربي بعد سقوط الدولة العباسية 656 هجرية و1258 ميلادية، وبعد الهجمات التتارية والتركية والمملوكية الشرسة على الوطن، واللغة، والناس والتراث، وحيث عاش العرب طويلًا – قبل صحوتهم المعاصرة – بغير حرية وبغيرة وحدة، وبغير ثقافة، وبغير عقيدة عملية، أو شخصية قومية سائدة، كادت أن تختفي حقائق ذلك العصر القرآني الأول بكل ما ارتكزت عليه حركة التحرير والتنوير بالإسلام والقرآن، في أزهى حضارة إنسانية واجتماعية عرفها العالم – من القصص الحق، والروايات الخبرية الصادقة، المستندة إلى "الإسناد" والتواتر في منهج التحقيق العلمي للقصة أو الرواية أو الخبر..

.. وحيث عاش المسلمون الذين كانوا أول من وضع قواعد المنهج العلمي، وأول من أنشأ نظام الجامعات العلمية حول أعمدة المساجد "الجامعة" وغيرها – يعتبرون " صدق الرواية" للعلوم المختلفة كما يتلقاها الدارس المجتهد عن شيوخه هي أول مرتبة من مراتب العلم قبل مرتبة الفقه والتفسير والإضافة ومن ذلك كان المسلمون يسمون "إجازة" النقل عن شيوخ العلماء كما يمنحها الشيخ لتلميذه بعد استيفاء التحصيل لأساسيات علم من العلوم: "إجازة بحق الرواية"..

"حق الرواية " إذن بالأمانة والصدق كان في كل علوم المسلمين التي يتوحد فيها الدنيوي بالأخروي واحدًا من عشرات الحقوق والالتزامات التي قامت عليها قوة المسلمين بحضارتهم العلمية الأخلاقية.. وليس أبلغ على دلالة هذا الحق، الذي ننكره اليوم أو نتنكر له، من أن هاتين الكلمتين العربيتين "بحق الرواية" انتقلنا بإشراقها مع مد الحضارة العربية الإسلامية

حتى وصلتا إلى أوروبا لتسهما في نهضتها عقب الحروب الصليبية، ومن ثم فقد تحولتا في نطق الألسنة الأوروبية الأعجمية لتصبحا أولا " بك الروايا" لصعوبة نطق حرف الحاء، ثم لتصبحا بالتطويع للسان اللاتيني "بك الروايوس" ثم "بكالوريوس" Baecalarius كما جاء في بحث للدكتور رفعت عبيد بجامعة ليدز.. وكما لا يزال الأوربيون يستعملونها إلى اليوم بمفهوم " إجازة بالتخرج" .. وكما أصبحنا نستخدمها أيضا نحن العرب .. ولكننا نستخدمها مع أشياء كثيرة – وأسفاه – بحق التبعية لأوروبا.. وليس " بحق الرواية" عن أكرم الأسلاف !!

ثم لم تلبث موجة الأساطير الشعوبية، والإسرائيليات، وأكاذيب الترف، أن اندفعت في محاولة لاغتيال هذا المنهج الإخباري الإسلامي، فوقع خلط كثير، وسقط ظلام كثيف، ومع ذلك فقد بقى القرآن محفوظًا بعصمته وصدقه، وبقى بجهد عدد من العلماء المجاهدين ما صح عندهم من الحديث النبوي بعد استخلاصه من مئات الألوف من الأحاديث الموضوعة، كما بقى قليل من الأخبار التي أفلتت من التحريف، وثروة غير قليلة من الشعر العربي في مرحلة ما قبل الإسلام، وهو مما تمسك العرب بروايته، والتمثل بما فيه من الأصالة القومية، والمآثر التي أقرها الإسلام من حياة ما قبل الإسلام، كما أن هذه الأخبار والأشعار قد لقيت اهتماما من مسلمي الأعاجم، الذين حفظوها وسط مصنفاتهم الملفقة ليبيعوا بها الغث مع السمين، وليجعلوا منها اللآلئ المضيئة على صدر ما نشطوا إلى تدوينه من آدابهم الزخرفية والاستمتاعية في مثل المقامات والأغاني، وحكايات الردة والزندقة، والمعتقدات الباطنية والحلول..

القرآن إذن في منهجه القصصي القائم على الحق، والمتتبع لسنن الله في حركة الواقع الاجتماعي بالصدق، هو ركيزة هذه الدراسة التحليلية

والنقدية لأدب الرواية والمسرح منذ اليونان، والذي وفد إلى بلادنا في غيبة أكثر الحقائق التعبيرية العربية مع قافلة الاستعمار، وفي ظل حرابة. وهي دراسة تتكامل بها عن أدب "القصة" المتنوع في وسائل التعبير الإنساني علميا مع الواقع، أو ضد الواقع "نظرية" قابلة لأن تضاف إلى علوم الإنسان الاجتماعية والتعبيرية بمستوى قوانين علوم الطبيعة.. تكون منطلقا صحيحا إلى دراسات عربية أكثر اتساعًا، وأعظم أثرًا، على طريق هذه الحقيقة البيانية في علم الإنسان، كما سجلها منهج القرآن الكريم في قصصه قبل أي مذهب اجتماعي حديث، أو أية فلسفة معاصرة، وهي أن الإنسان في سلوكه ولعته نتاج بيئته، وأنه من الممكن دائما في عدل الله وحكمته تغير فكر الإنسان ومنهج تعبيره وسلوكه إلى ما هو أفضل، أو إلى ما هو أسوأ بتغيير عوامل البيئة المحيطة به.

مثل هذه التقنين للحكاية والقصة وانطلاقا من ضوابط "الخبر الصادق" وبعيدا عن الانهيار الأسطوري، أو التصنيع الخيالي المسرحي – لم يصل إلينا شيء منه على شكل دراسة من أسلافنا العرب الأوائل في صدر الإسلام، فلقد شغلهم عن ذلك الجهاد أولا، ثم الترف ثانيا، ثم محاولة النجاة بعد أن تقوضت بالغفلات والمؤامرات أركان الصرح الكبير. لذلك فهم لم يتركوا لنا "وصيتهم" تجاه هذا الخطر " الخرافي" الذي تحفظوا منه وقاوموه أول الأمر، ثم استسلموا له مع موجات الترف والخيلاء والإخلاد إلى المتاع آخر الأمر، حتى اجترأت الأساطير والإسرائيليات على كل شيء قدمه العرب المسلمون إلى الوطن العربي والعالم، فلم يمتنع عليها إلا " القرآن" وإن حاصره الفكر الشعوبي في كتب التفاسير، وأدل الزخارف، وأشعار الزندقة والحمريات، وقصص ألف ليلة وليلة الفارسية..

نعم.. لقد بقى لنا القرآن في بيانه وبرهانه، وصدقه وعلمه، حاملًا وصايا الله، وقصص الأسلاف كما أخبرنا الله، وكما عملوا صادقين في طاعة الله.. لقد بقى ينتظر صحوتنا.. ويتعجل صحوتنا.. ويضيء لنا الطريق أمام صحوتنا.. ومع صحوتنا.. بقدر ما نستخلص منهجه المباشر في صدقه البياني، وصدقه العلمي، في منهجنا الصحيح للتعبير عن حركة الواقع، وحركة المجتمع، في الأدب والقصص، والتاريخ والسير.

من أجل هذا أصبحت هذه الإجابات الحاسمة والصحيحة عن الأسئلة التي صمت عنها التراث، والتي تفرض الصحوة العربية المعاصرة طرحها على المعاصرين، مع صمت الأدب والشعر، وعبث القصة والمسرح.. من أجل هذا أصبحت هذه الإجابات من نصيب هذا الجيل العربي الذي عليه أن يواجه عبء "الاجتهاد" في ضوء القرآن الكريم للإجابة العلمية والتاريخية عن حقيقة موقف العرب من أدب القصة، سواء في قصصهم الصادق بمنهجه الإسلامي، أو موقفهم من القصص الأسطوري الخرافي، أو الخيالي المسرحي، الذي يتصادم بنوعية مع الفكر العلمي، والبرهان الديني، والواقع الحي..

وبالتأكيد فإن هذه الإجابة الصحيحة عن هذه الأسئلة التي تخبطت وتناقضت حولها الإجابات – قد أصبحت ضرورة حياة وتصحيح لأخطاء وغفلات الماضي، بعد أن قامت ثورة مصر العربية 1952 لتغسل عن فكر الإنسان العربي كثيرا من غبار القرون السابقة بعد عصر طويل من الشروق العربي الإسلامي، ومن ذلك إلى جانب الخرافات التي تسللت لتغطي على حقائق الدين – هذا الاستهداف الاستعماري بخططه المختلفة للتحول بالعرب إلى فكر وآداب وأنماط الحياة الأوربية- كما هي بخيرها وشرها، وبدون تمحيص واختيار، وعدوانًا سافرا خفيا على الحقيقة

الإسلامية العربية في حياة المجتمع العربي، وذلك منذ مسرح صنوع، وأوبرا الخديوي إسماعيل، وحتى مسارح علب الليل للترفيه عن جنود الاحتلال، وعن عمد الريف الذين أريد تصفية ممتلكاتهم للبنوك الأجنبية بالليالي المذابة في الخمر والجنس، وعن تجار القطن لمصانع الإنجليز، وأمثالهم من السماسرة والورثة المبددين.. مختلطا هذا كله بالنغمة المتكررة بالزراية العلنية بمقومات وأصالة الشعب في اللغة والدين والقرآن داخل المشهد التقليدي والهستيري في السخرية من "الفقهاء الثلاثة".. الذين يرتبطون في وعي الرأي العام بالدين وقراءة القرآن في أزيائهم، والذين يقدمهم المخرج للمخطط الاستعماري على المسرح "لوحة حية" لا لنقد التخلف بين علماء الدين، وإنما لإزالة الدين، واللغة والقرآن، وتاريخ العرب بكل ما في من أصالة ومبادرات في مقابل بديل واحد هو مسرح الجنس الهابط، وحياة الذوبان في الخمر والأكاذيب، وابتذال الأجسام والعقول، تحت شعار مسعور هو "التفرنج" وطرح الماضي بكل حقائقه وضوابطه، والضياع القومي داخل ثوب مهلهل من مساوئ المدينة الأوروبية تخلعه على عبيدها ومواليها.. !

لقد اتجهت الثورة المصرية لذلك وهي تحمل عبء المواجهة العسكرية والحضارية للوجود الإسرائيلي العدواني على أرض العرب – إلى مواجهة مسئولية استرجاع الشعب العربي من "الشتات" الذي صار إليه بعد تتابع موجات الغزو الفكري على منابع "هويته" و"أصالته" وعلى ركائزه ومقوماته..

كذلك فقد كان من ثمار ما حققته ثورة مصر الشعبية، والتي لم تكن مطلقا ثمرة الأدب الروائي الخيالي، أو المسرحي التهريجي – تنشيطها للحركة الفكرية باتجاه نشر العلم، والتنوير الحقيقي باتجاه

وحدة المجتمع، وتعزيز التحالف غير الصراعي بين فئات الشعب ومنتجيه، مما امتدت به إلى الأمام حلقات التحرر الفكري العربي السابقة على أساس الأصالة، ومع حركة العصر. ولقد تحدد هذا الاتجاه ووضح لأول مرة بشكل مباشر عقب انتصار رمضان، وذلك على لسان الرئيس محمد أنور السادات عندما قدم للشعب تصوره لخط التقدم الصحيح في وثيقة أكتوبر، موضحًا به هذا التلازم إلى يربط بين مفهوم الأصالة وبين حركة العصر، وذلك من خلال رؤية حقيقية، وغير خيالية للواقع..

ولا شك أن إعلان هذه المعادلة التي تربط بين التقدم الذي ننشده وبين وحدة الأصالة والعصرية، في وثيقة شعبية هي واحدة من أهم المراجع في حياة الثورة، وحركة التصحيح – كانت جديرة بأن يستقبلها العلماء والمفكرون والأدباء باستجابة نشطة، ومخلصة، ومستنيرة، تنشأ منها حركة فكرية عربية شاملة تنسجم بإيقاعها الصحيح مع حركة التاريخ، لتناصر وتعزز في صحوة الأمة العربية وحدتها الفكرية، ووحدتها بالإيمان، ووحدتها بسلامة الوطن واللغة والتاريخ، ومن ثم يكون محققا بظهور الأصالة على ساحة الفكر العربي، والتعبير الأدبي، أن تتحدد ملامح الذات الخالصة في "هوية" الإنسان العربي المعاصر.. هذه الهوية التي ينبغي أن تختفي منها في الأدب العربي أعراض زرقة العيون، وشقرة الشعر، وقبعات الأفكار، ورطانات الألسنة.. بينما تتضح وتتجلى – في نمط الحياة والتعبير – ملامح هذا الإنسان المؤمن، الأسمر، اليقظ، والمبين، والمتفائل، في عصر التحديات والمتغيرات الكبرى.. والعلم.

إنني في هذا الاتجاه من محاولة الخروج بالأصالة من الظل إلى الضوء، ومن محاولة غسل وجهها الحسن من غبار القرون إلى مشرق العصر، وحركة الواقع، في مجال التعبير بالصدق، والعبور إلى الأهداف

القومية فوق حواجر الخرافات الأسطورية، والروايات الخيالية، والأوهام المسرحية- أكتب هذا الكتاب..

إنني أكتبه لأذكر بأن رسالة الأدباء والمفكرين في هذه المرحلة في بلادنا ليست هي دور " الموالي" لثقافة وآداب، وصيغ وشعارات أوروبا شرقا أو غربا. كما أن مهمتهم بالضرورة – في طليعة أمة تتحرر وتتقدم وتتوحد – ليست هي السخرية الملتوية، أو الاجتراء السافر على مقومات آلاف السنين في حياة أمتهم العربية وهي اللغة والدين والتاريخ..

إنني أكتب ها الكتاب لكي أزكي بالمنهج التعبيري الحقيقي بالصدق، والمباشر بالالتزام في الأدب العربي، هذه الواقعية العلمية المؤمنة في حياة العرب التعبيرية، في عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى تغليب النظرة العلمية على كل ساحات حياتنا، لكي نجتاز فجرة التخلف العلمي المعاصر، في الوقت الذي نستحضر فيه هويتنا. ونملك إرادتنا، ونحت نبني المجتمع العربي السليم ببناء الإنسان العربي الخالص، الذي نستبدل بهوية هوية إنسان غيره حتى وإن كان هو الإنسان الأوروبي، المنشق على نفسه إنسانيا بين اليمين واليسار.. والممزق حضاريا بين رحى المتعة الشاذة.. ورعب أسلحة الدمار..

لقد دخلت المدنية الأوربية بتأثير آدابها الخيالية والإلحادية إلى مدى بعيد في هذا التيه الذي ينفصم فيه العلم عن الإيمان، والفكر عن الواقع، وهكذا ترسبت في أمنيات العلماء والطبيعيين من تراكم أساطير القصص وأوهام المسرح هذا الاتجاه العدواني والعشوائي لتغيير مشيئة الله – الذي لا يؤمنون به – في الخلق، أي هذا الاتجاه لمحاولة تغيير الطبيعي في مجال حركة الحياة والأحياء فيما يسمونه بالكيمياء التركيبية: Synthetis Chemistry والتي تطورت في عصرنا فأصبحت كيمياء "تخليقية" كما

نسميها باللغة العربية، لأننا نؤمن بأن الوجود مخلوق، بينما بقى اصطلاح "التركيبية" يعني عند الأوروبيين محاولاتهم بغير وازع "تغيير" خلق الله، وذلك بمحاولة "تخليق" أنواع جديدة من الكائنات الحية في الأنابيب في الاتجاه إلى تغيير خلق الإنسان نفسه.. !!

فهذا العبث المدمر الذي صار إليه العلماء الطبيعيون هو حملة الربا الخيالي الضخم الذي تراكم به "الانفصال" في القصص الأوروبي والمسرح عن الواقع العلمي في حركة المجتمع، بينما هو يشطح ويتذبذب بين الصراخ والهزل في عرض مشاهد فصامية خيالية وجهتها " تغيير" سنن الله في نظام المجتمع والحياة .. ومن أجل ذلك كله، في مجال الصدق الأدبي، والصدق العلمي، حذَّر القرآن المؤمنين من خطر انفصالهم بالتفكير الخيالي عن الواقع، هذا الانفصال الذي يغتربون به عن سنن الله، ويقعون به في وهم القدرة على تغيير خلق الله، أو التمني لهذا التغيير من داخل انشقاقات أنفسهم، وإنشطارات رؤيتهم.. وذلك حيث يقول القرآن على لسان الشيطان في عمله الذي ينفصل فيه فكر الإنسان المهزوم عن واقعه الجليّ: "ولأضلتهم، ولأمنيتهم، ولآمرتهم، فليبتكن آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله.."

مثل هذا الاتجاه الذي يمكن أن نؤصل به الأصالة، بحيث تتجنب – على أساس علمي – مخاطر هذا السبيل من المشاهد الوهمية، والفنون والآداب الأوربية الخداعية، التي أتاحت للشرق والغرب أن يتلعبا طويلا بمصير العرب، وأن يتباريا في فتنتهم، وضرب وحدتهم، وطمس هويتهم – ليس في فكر العلماء والأدباء المعاصرين بدعا من الرأي، ولا ظنا من الظنون، بل هو والحمد لله – حق صاعد في شروقه ينادي به الكثيرون من

زوايا متعددة نحو هدف موحد، يجمع على مستقبل هذه الأمة بين الأصالة والعصرية في كل مجال..

إن هذا الحق العلمي في قضية التعبير العربي – وإن يكن غريبا أو مفاجئا لمن ينشدون إلى اليوم على أرغن الآداب الأوروبية الخيالية، ويرقصون على مزمارها، من أدبائنا الذين غرقوا فكريا في بحر الروم- إن هذا الحق القديم الجديد أخذ في أصوات واعية كثيرة استشهدت بها في هذا الكتاب – يعبر عن نفسه .. أصوات لا يمكن رميها بتهمة "الرجعية" .. أصوات تبرأ بالوعي والصدق والعلم من "الرجعية" السحيقة إلى خرافات هوميروس واسخيلوس كما يتغنى بها تحت ملامحهم الشاذة عدد غير قليل من تلامذة جامعات الغرب وهم يبثونها في أفكار بعض المعاصرين.

إن هذه الأخطار على التاريخ العربي، والقيم الثقافية، وركائز الإيمان، كما أحذر منها في هذه الجهود المخططة للأعداء، وفي إسهامات بعض مدعي الثقافة في بلادنا – إنما تتزايد في هذا العصر لتطويق الصحوة العربية، وتجميد إرادة العرب، ومنعهم من استرجاع ركائزهم وأصالتهم في ثقافتهم، وآدابهم وإيمانهم، وأخطر ما يتهدد العرب من ذلك لا تزال تختزنه الصهيونية العالمية في أدراجها للحاضر والمستقبل من السلع والأفكار الهدامة والمنكرة، كما فعلت الكثير منه للإعداد لقيام إسرائيل في الماضي القريب والبعيد..

على سبيل المثال في تحريف التاريخ العربي لصالح إسرائيل، قصة دعائية ربما يذكرها الجميع هي "الوصايا العشر" التي أخرجتها السينما الصهيونية باستئجار سيسيل دي ميل، وعممتها في الوطن العربي لتقول بصوت كاذب مرتفع إن التوراة نزلت على أحد جبال سيناء الجنوبية هو جبل موسى الذي يقع عليه دير سانت كاترين، ومعنى هذا أن لإسرائيل –

أيها العرب – وجودا تاريخيا، وحقا دينيا، على أرض سيناء.. يحدث هذا وعلماء التاريخ عندنا في غفلة ساهون، يقرأون القصص الخيالية، ويحلمون ويمرحون.. وبينما أدباء المدنية الأوربية معزولون في أبراجهم العاجية عن الماضي العربي يهزلون ويرطنون ويسخرون.. وبينما الحقيقة التي يمكن استقاؤها بالتفكير الحقيقي على امتداد الذراع في جهد بعض العلماء المحققين من المستشرقين، وفي شذرات مبعثرة في كتب التاريخ العربي، وفوق ذلك في مفهوم الحقائق التي أوردها القرآن الكريم، والتي يمكن استخلاصها من التوراة، وهي تؤكد كلها كما في تحقيق علمي للدكتور موسل أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة براغ في كتابه " عن شمال الحجاز" أن طريق الخروج لم يمر بجبال سيناء الجنوبية أبدًا، بل كان مرور إسرائيل من ساحلي خليج السويس وخليج العقبة، وكان مرورا عاجلًا مذعورا باتجاه أرض مدين، وأن التوراة لم تنزل إلا على جبل حورب أو جيل الرب كما تسميه التوراة، وهو في الجنوب الشرقي من رأس خليج العقبة بأرض مدين.!

في الفصل الأخير من هذا الكتاب كان لابد أن اشير إلى هذا البديل من آدابنا العربية التي اشتهرت في أزهى عصور تاريخنا بكمال التعبير عنا، وبالصدق في تسجيل واقعنا، وشد عزائمنا ، والإشراق بآمالنا، وضبط إيقاع حركتنا الاجتماعية والتقدمية على هدى الإيمان، وضوابط الشرع، ونعمة العمل والحب والسلام. لقد أشرت إلى ما لا يزال يقف أيضا على أبواب صحوتنا من آدابنا العربية التي اشتهر منها في تراثنا، وفي تاريخ الأدب العلمي، تلك المدونات المشرقة بجمال الواقع، والصادعة بالحق، في الأدب الديني، والأدب السياسي، الأدب التاريخي في سير الأعلام، وقصص الشعوب، والعصور، وقصص كل يوم، وفي الأدب الجغرافي، أو أدب

الرحلات الخصبة بأخبارها، وأسمارها، واشارتها، ومتاعها، والتي تقيم أطول الجسور بيننا وبين العالم المحيط بنا، من وجهة نظرنا نحن إلى العالم، وليس من وجهة نظر من يضللوننا عن هذا العالم..

مثل هذا الأدب الضخم بخصائص الإنسانية، وبتنمياته الحقيقة لوعي الإنسان، وعلم الإنسان، وطهارة الإنسان، وإنسانية الإنسان.. مثل هذا الأدب العربي الإنساني المتدفق بحيويته الشعورية، والغنى بمنابع نشوته العقلية والعملية، والمبرأ شعرا ونثرا من مخاطر اللغو واللتاثيم.. لا يزال ينتظر على أبواب هذه الصحوة العربية الشاملة، ليكون الأداة والصياغة لحركة تنوير شاملة لحياتنا المقبلة.. ليكون هو أدبنا وتعبيرنا وفكرنا الذي يربطنا – في أقرب وأجمل ثمراته – بأسرتنا الكبيرة في الزمن. . أي بالتاريخ الصحيح لأمتنا العربية.ز وبوطننا المعاصر بأنهاره ووديانه، وصحاريه وبحاره، وسكانه وألوانه، هذا الوطن الأعلى والأحب بين الأوطان، والذي مع الألم والخجل لا يزال أكثر المثقفين تحت قبعاتهم العريضة لا يعرفون عنه إلا القليل، كما حدث أن أكثرنا لم يكن شيئا عن سيناء المصرية، وأهلها، وجمال طبيعتها النادر، وموارد صحاريها وجبالها ومياهها البالغة التنوع والوفرة، وذلك منذ أغلقها الانجليز عام 1882 إلى أن احتلها اليهود عام 1967.. عندئذ بدأنا فقط نعيش الحقيقة الغائبة!

وبعد.. فإن ما قصدت وجه الله به بهذا الكتاب هو أن تجدد الظروف الملائمة لسيادة فكرنا العربي الصحيح، بالإيمان، واللغة المبينة، والنظر العلمي، والفكر الحقيقي في كل صيغ التعبير الأدبي.. إننا بذلك، وبذلك فقط، نستطيع أن نحيا مرة أخرى حياتنا الصحيحة بعزائم الإيمان، وحقائق القرآن، وثمرات العدل والعلم، على هذه الأرض الحيرة نفسها،

بصحوها الدائم، وواقعها المشمس، ومداها البعيد، ورؤيتها الجلية.. متطهرين من وساوس العدو، ومن أساطير آلهته، ومن كهانات فكره، ومن ثمالات خمره، كما تطهرت شعوبنا وأرضنا من قبل مرة ومرة.. متحررين أيضا بهذا الطهر والصدق والإيمان في التعبير عن الواقع – من هذا الضياع في متاهات "الفنون الكاذبة" بحثا ضائعا عن هذا " التوازن" الذي يفقده في الواقع كل المنفمين بمعتقداتهم ومقوماتهم عن حركة الواقع..

وبذلك نتقدم بإرادتنا مع ما أراده الله.. لكي يبقى ما يأيدينا من نعمة الإيمان والجهاد والصدق- حيا، ومشرقا، وفعالا، ونحن ندافع – عملا وتعبيرا – عن حريتنا الكاملة الدعائم، والأبعاد، والأهداف، كما عرفها أسلافنا، وكما عاشوا بها، وكما دافعوا عنها.. وانتصروا بها..

وعلى الله قصد السبيل.. والحمد لله رب العالمين،

أحمد موسى سالم

القاهرة : جمادي الأولى 1396

مايو 1976

مقدمة تاريخية للبحث

ربما كان من المفيد بعد هذه المقدمة التي قدمت بها لموضوع الكتاب أن أكتب هذه المقدمة الأخرى حول تاريخ هذا البحث في القصة، وحول تطور اهتمامي به. فلقد كان لهذا البحث في الواقع "قصة".. قصة حقيقية تبتت جورها في أرض الواقع، واستقت من روافده، وتفرعت فيه، بكل ما استهدى إليه البحث من ألوان الحقائق، والشواهد، والاستدلالات.. ولا شك أن من المفيد أن ألخص للقارئ قبل الدخول في هذه الدراسة طبيعة وظروف مناخها الذي نشأت فيه..

كانت بداية اهتمامي بهذا البحث في الثلاثينات، أي منذ حوالي أربعين عامًا، وكانت نظرتي إليه أول الأمر في بواكير الشباب – أدبية خالصة، قبل أن ينفتح به الطريق أمامي إلى تعقب جذوره في مبادئ الدين وأصول النظر العلمي من الأساس.

كنت في ذلك الوقت، محكومًا بمناخ التخلف المطبق على الوطن العربي، وعلى مصر تحت حكم الإنجليز.. أجرب في الشباب الباكر قبل سن العشرين أول عمل لي بالصحافة محررًا غير حزبي في باب الأدب والفن في جريدة كوكب الشرق الصباحية، والتي كان يملكها لحساب الوفد أحمد حافظ عوض، وكان يكتب فيها في ذلك الوقت طه حسين مع مجموعة من تلامذته الذين ظهروا فيما بعد في مجال السياسة والصحافة والثقافة، مثل السيدة سهير القلماوي، وإبراهيم عبده، وجلال الحمامصي، ومحمد صبيح..

في تلك الحقبة القائمة التي بدا فيها رؤية الأجيال الجديدة من غير المعوقين فكريا: أن العمل الحزبي يصرخ على السطح، ويدق الهواء بالهتاف، بينما آلام الشعب في أعماقه، وقيود الاستعمار تبطئ من حركة أفكاره، وتضلله عن حقيقته وهويته- نشرت في الكوكب قصة نقدية قصيرة بعنوان "خيال" حاولت بها في بداية النطق والتعبير أن أكشف عن هذه الصورة المضحكة، والتي كانت من أعظم الصدمات الذهنية التي أصابتني في أول حياتي العملية – لهؤلاء المتأدبين الذي يتهافتون على محاكاة الأدب الغربي بكتابة نماذج مزورة من القصص المترجم، بأسلوب غث وفج، فترى أحدهم يحكي عن زينب وحسن أحداثًا وصورًا ينقلها نقلا حرفيًا خاطفًا ومتعسفًا عن قصة إنجليزية تحكي عن مرجريت وجون، وقصة فرنسية تحكي عن ماري وشارل، مع تجريد القصة الممصرة بالطبع من كل ما كانت تحمله من مضمون المؤلف، ومن وشى الصناعة الأدبية التي كان يعجز المتأدبون اللصوص- لأسباب كثيرة – عن صناعة البديل العربي لها، فتبدو قصصهم الهزيلة عارية مرتجفة، ترطن – كغانية دهما قاطع طريق – بكلام عربية واستغاثات أوربية !!

كان هؤلاء المتأدبون – ولا يزالون إلى اليوم مع تنوع وسائل السطو بغير خجل – يلعبون هذا "الدور" المهين بالعبودية الأدبية لأوروبا، و"يمثلون" على شعبهم بأعمال وهمية تدخل في مخطط الغزو الفكري الاستعماري، دون أن يفطنوا إلى فداحة ما يرتكبون من جرائم وطنية، وأوزار فكرية، وقد سكروا – رغم أنهم لصوص – بخمرة الفخر بمترجماتهم الممصرة، وزهوا التمني للشهرة والخلود، لأنهم وسط ملايين ممن لا يقرأون ولا يكتبون من أبناء شعبهم المنتجين الشرفاء.. قد استطاعوا أن يصلوا إلى مستودع ديكنز أو موباسان في تراث غزاتهم ومستعبديهم، ليختلسوا منه

بخبرات مركبة من الأمية والجهل ما يفخرون بها، وما يسكرون بخمره.. عراة على الطريق!

وكانت مجلتا الرسالة والرواية تصدران في تلك الأيام بجهد أحد المتعاطفين مع الثقافة الفرنسية، والمشجعين في نفس الوقت لإشاعة "الرومانسية" في التعبير الأدبي إيغالا في تخليق المناخ الأوروبي حول الأدب العربي المعاصر، وهكذا تحت قدر كبير من المثابرة استطاع المرحوم أحمد حسن الزيات أن يضع في حضانة مجلتيه الرسالة والرواية، وتحت ريش دجاجتيه العربتين الغربيتين كثيرًا من البيض الذي اجتذبه من بين أعداد كبيرة من الأدباء الناشئين، على أمل النجاح في تفريخه لنهضة أدبية عربية شاملة!.. ولكن أكثر هذا البيض فسد في تيار للأدب بغير منهج، وبغير أصالة، وبغير عصرية .. ومع الأسف حتى مصطفى صادق الرافعي الذي شغله "الأسلوب" و"الوشى" والصراع مع العقاد وطه – كان في تيار هذه النهضة الأدبية القصصية الأوروبية الرومانسية لا يشعر بضرورة الحاجة إلى أدب يمثل الفكر السياسي والاجتماعي لهؤلاء العرب الذين يتكلم باسمهم، ويتفاصح في المناسبات الدينية بلسانهم، وليس بحقائق الدين، وركائز الدعوة التي تبني في تيارها الأدبي مجتمع العرب الحر الجديد!

وهكذا فسد أكثر البيض تحت ريش مجلتي الرسالة والرواية.. فبعضه كان بالضرورة بيض غربان ونسور، وبعضه كان بيض طواويس وببغاوات .. والذي صح من بقاياه لم يخرج منه إلا هؤلاء القصاصون والمتمسرحون الذين ظنوا – وهم "يمثلون" ادوار الأدباء الكبار في العالم – أنهم حققوا العبادة الصحيحة – داخل أبراجهم المغلقة عليهم لآلهة اليونان وأوروبا القديمة والحديثة!

منذ ذلك الزمان وقد عاصرت عن قرب، وعن بعد أيضًا مشاهد هذه الغزوات الأدبية للغة العربية، وللأفكار العربية في أعماقها بدأ اهتمامي بالسؤال عن "القصة العربية" . ما جذورها؟ .. وما طبيعتها؟ .. وما خصائصها؟ .. وما نماذجها في التراث؟ .. أسئلة صعبة... رأيت غيري قد سارع إلى الجواب عنها، وقطع بالحكم في أمرها .. وقطعت سنوات طويلة أبحث عن جوابها الصحيح.. حتى جاء هذا اليوم..

في ذلك الزمان المبكر من نشأتي أتيح لي أن أحصل على دراسة بالمجان في رأس وخيال أحد القصاصين الكبار.. كانت هذه الدراسة الخاطفة بالفعل هي البداية لتفكيري السليم في هذه القضية، لقد كانت الدراسة حوارًا جادًا وصحيحًا في حركة الأجيال بين أديب كهل مرض بالقصة والمسرحية إلى حد الاحتضار، وبين ناشئ في غيبه يبحث ويتحرى لنفسه قبل أن يدركه المرض..!!

كان الأديب الكبير على تفاوت العمر زميلا صحفيًا مسئولا عن الأدب في إحدى الصحف التي عملت بها. وكان كعادة هؤلاء الأدباء له مقهى خاص يشرب فيه الخمر بغير تحرج، ويلتقى بالزملاء، والمعجبين، والفارغين، لينفخ الجميع أكثر ما عندهم من الكلمات والحذلقات في الهواء.. وكان هذا الزميل الكهل يطمع بعد أن عرضوا له رواية مسرحية في دار الأوبرا – سبق بالتأكيد تأليفها عشرات المرات تحت عشرات العناوين – في أن يصبح رأسين مصر أو شيئًا من هذا القبيل في تاريخ الرواية الأدبية..!

كان رأسه الأشيب مليئًا بالكثير من الآمال الخرافية عن مستقبل القصة بين العرب بمفهوم القصة عنده، وهو الذوبان والتلاشي في محاكاة أدب الغر ب. وكان من باب التفضل والإحسان قد سمح – دون أن يخطرني

– بأن يضع مواهبي الناشئة في رعاية عبقرية المشعة، حتى أرى الطريق واضحًا وأواصل السير.. على درب الأدب القصصي.. الدخيل!

وكانت ذروة السذاجة أن اختار لي من عنده شيخًا من أعلام القصة الأوربية هو القصاص الروسي تولستوي لكي أتتلمذ عليه، وأشرع في دراسة أعماله وتاريخ حياته، وكتب النقاد فيه، وأثره في عصره، وقياسه إلى أقرانه، حتى يصح لي مع الزمن أن أتقمص خيال هذا العبقري، فأنتقل من درجة المريد في القصة إلى درجة الإمام!!.. وهكذا كانوا ولا يزالون يفكرون!

في بعض هذا الحوار الغريب لازلت أذكر أنني قلت يومذاك لزميلي الأستاذ الكبير – الذي أفلست أكثر مشاريعه القصصية فيما بعد – "إنني لا أحب لنفسي أبدًا أن أكون تولستري أو دوستويفسكي أو غيرهما ممن تقترح لي. أنني أشعر بالغثيان من هذا التصور. إن كلا من العملاقين مستقر في شجرة إنتاجه على جذور مشتركة في الفكر الأوروبي، وبعيدة المدى في التاريخ، وهو يمثل امتدادًا ونشاطًا خاصًا لهذه الجذور بالمزاج القومي الروسي، المتمثل في هذا الاستبطان الصوفي الأدبي لتفاعل حركة الشعوب الروسية، وأحداث حياتهم، في طبيعة بلادهم الخاصة، ذات المساحات الجليدية الشاسعة المروعة، وما ينعكس على جليدها من ظلال حياة القياصرة، وكنائس وترانيم المسيحية الأرثوذكسية، وجحافل الفلاحين والفقراء والجائعين، الذين طالما سقطوا موتي على جوانب الطرق الخاوية من الجوع والجهل والفودكا!

ثم قلت كما لا زالت أذكر "إن كلا من هذين العملاقين هو تعبير في مرحلة من التاريخ عن تراث متطور للشعب الروسي، ولخصائصه داخل عصره. وأما ما يعنيني في المقابل فهو أن أكون بتعبيري الأدبي كما ينبغي

أن أكون، صحيح الانتماء عصريًا إلى الأمة العربية فوق هذا الوطن – مصر – .. ولكن كيف؟.. إن الجواب الصحيح لم أصل إليه بعد!"..

قال في لجاجة الجدل " إن العرب لم يعرفوا القصة الفنية، ولم يفكروا في بنائها، بينما هي في دلالتها الحضارية أرقى من شعر المديح والهجاء، ومهمة الأدباء العرب في هذا العصر هي تطويع أساليبهم في التعبير الأدبي لهذا الفن الرفيع".

قلت له "إنني أرى حتى الآن أن العربي كان مثالا في أول العهد بالإسلام للإنسان السوي. وأنا لا أفرض عليك أي رأي. كذلك فإنه مما يتفق مع قيام الحضارة العربية الإسلامية على القرآن، الذي هو كمال التعبير باللغة عن منهج الإنسان الكامل، أن نؤمن بهذه الحقيقة التاريخية التي تقول إن العربي الأول كان سيد البيان بلغته، وإن بيانه في نفس الوقت كان طريقه إلى التعبير عن صفات السيد وهي الحرية والبيان والمعروف..؟ أو الحرية والبيان والإيمان".

ثم قلت "ولذلك فمن المهم أن نبحث لنعرف: هل كان خلو الأدب العربي قبل الإسلام وبعده من القصة الخيالية والمسرح هو من باب النقص.. أم هو من باب الكمال؟ .. هل كان هذا القصور فقرًا في هذا اللون من الأدب .. أم كان غنى عنه .. هذا رأيي حتى الآن" !

قال الزميل الكبير بلغه الاستنكار والتقريع، وكان ينطق الراء غينًا على لغة أهل باريس: "إنك بهذا الرأي الأخرق المتسرع ستثر ثائرة المثقفين والأدباء عليك، وأنا أولهم.. ولسوف نحاربك إن جنحت إلى مثل هذه الآراء حربًا شعواء".. ثم كرر "وأنا أولهم" !!

ولم أهتم بأقوال الزميل الكبير، الذي طال ما أثمله الوهم، ولم تلبث أن انقطعت بيني وبينه السبل، والحمد لله، كما انقطعت بيني وبينه قربى الأفكار والأهداف.. وإن كنت قد سجلت في أوراقي هذا الحديث في أوانه..

وتتابعت دراستي بعد ذلك للتراث مع تنقلي في العمل من مكان إلى آخر، ومن تجربة ومشاهدة إلى رأي وخبرة، حتى كانت أوائل الأربعينات فبدأت برغم تهديد الأستاذ الكبير – في نشر سلسلة من المقالات حول هذا الموضوع نفسه وهو " القصة عند العرب وعند غيرهم" وكان قد استقر لي هذا الرأي المبدئي بأن القصة عند شعب من الشعوب هي انعكاس بالصدق أو بالكذب، بالحقيقة أو بالخيال، لرؤيته للواقع وحكايته عنه، متأثرًا في ذلك بلغته ومعتقداته وظروفه الاجتماعية.. وبيئته!

وكان رد الفعل الغريب لهذه المقالات بين الأدباء المصريين هو على عكس نبوءة الأستاذ الكبير – جدارًا من الصمت، ومزيجًا من هز الأكتاف، وقلة الاكتراث، بينما كان استقبالها في سورية والعراق، وحتى الشاطئ الشرق للجزيرة العربية في الكويت والبحرين حارًا ومشجعًا، ومصحوبًا بالكثير من الاهتمام والتمحيص، الذي ظهر في كثير من وسائل مناقشة الرأي، والرد عليه بالتأييد أو الاستفسار أو الاعتراض، أو الخروج برأي وسط.. أو رأي جديد، كما هو مسجل في مطبوعات تلك الحقبة..

كنت قد نشرت تلك المقالات في مجلة "الأنصار" العربية الإسلامية التي كنت أرأس تحريرها في تلك الفترة. وكان ذلك بتوقيع رمزي لمضمون هذه الدراسة وهو اسم "صادق الحكيم" وقد قصدت به أن "الصدق" هو حكمتنا ومنهجنا في القصص والتعبير". وأعتقد أنه قد كان لهذه المقالات

أثرها في الإعلان عن نظرة أكثر جدية وعلمية في فهم التراث القصصي عند العرب وغيرهم على أساس ديني واجتماعي، وفي تنشيط عدد من الدراسات العربية المفيدة في هذا الاتجاه في أعمال عدد من المفكرين في سورية ولبنان.

ومع ذلك فإنه مع استمرار الأدب العربي في التدهور بسبب انسلاخ مناهج التعليم في بلادنا بتأثير الاستعمار عن المنهج السليم بتحفيظ القرآن من الطفولة لتربية ملكة اللغة، وتهيئة مناخ الإيمان، وكذلك بإهمال الأدب العربي، والتاريخ العربي، والتربية الدينية في بقية مراحل التعليم حتى الجامعة التي فصلها الاستعمار بمناهجها الغربية عن الأزهر، كما فصل الأزهر بطرائقه التقليدية عن ثقافة العصر وتيارات العصر.. فقد استمر بنفس المعدل تدهور الأدب القصصي الروائي، والأدب القصصي المسرحي إلى حد الانهيار الأول، والابتذال للأخير، الذي أصبح اليوم فرعًا من فروع اللهو الهابط، وستارًا تحت عنوان الفن للتجارة بالجنس، وتحديدًا في المزاج الشرقي بالوسائل الغربية لاستعادة الأوضاع القديمة للجواري في قصور السلاطين، ولكن في إطارات جماهيرية مباحة للجميع. إنها نخاسة جديدة عصرية ترفع شعارًا "اصطلاحيًا" لا علاقة له أساسًا بالأدب أو التنوير أو الثورات الفكرية أو النهضات الإصلاحية هو الشعار الفارسي الخيامي القديم "اغتنم اللذات" بالإضافة إلى الإعلان البوهيمي المألوف في كل أوروبا "ادفع ... وفرفش"!

ثم انقطعت صلتي بالصحافة والكتابة عدد سنين، في حياة بعيدة عن المدينة المكتظة، اللاهثة تحت نير لا تراه .. حياة بسيطة وحرة أقرب في صحارينا الغنية بأخبارها وأفكارها إلى البداوة الأولى منها إلى أي شيء آخر. لم أترهب ولم أتصوف، فلقد كان معي أهلي وأبنائي، وكنت مع

القادرين منهم نعمل بأيدينا بغير امتهان.. وهناك حيث خرج من خرج إلى هذه الأرض ابتغاء وجه الله، وتحررًا إلى الله في بداء الله، وحيث عاش بها من عاش بها، ويعيش إلى اليوم، من خفت عنهم أوزارهم الحياة، ومن تقع أعينهم في كل نظرة ينظرونها على نعمة جديدة من نعم الله.. هناك حيث أبلغ بي السير.. نظرت كما أمر الله "سيروا فانظروا" .. نظرت من غير حواجز نحو المنظور، أو تمويهات وراء المنظور.. نظرت وتفكرت .. وتعلمت .. فلم يكن هناك مع أصدق الصدق في كل ما حولي – إلا الآفاق .. والنفس ... والتوجه إلى الله .. وحمد الله..

هناك تعلمت من غير كتب أن القصص الحق هو التتبع بالصدق للحق، والاستهداء به إلى الحق، وإلى علم الحق.. من أجل ممارسة جميع الأعمال بالحق..

وعندما رجعت إلى المدينة عادت ملاحظتي إلى الأدب في مجالاته المعاصرة، وإنتاجه المعاصر إلى ظواهر هذا الصراع المستمر بين الأصيل والدخيل، وإلى تصور مدى ما يمكن أن تنتهي إليه آثار هذا الصراع على التحولات الفكرية، والتغيرات الاجتماعية، على ما يمكن أن تؤدي إليه الجهود المخلصة من التعجيل.. بدلا من التأجيل ... بإرساء الأساس الثقافي القومي الديني التقدمي الذي ينشأ فوقه، وينمو، مجتمعنا العربي الجديد في هذا العصر..

ثم حدث أن زرت أوربا أكثر من مرة، وكان المسرح من بين ما شهدته بعيني، وناقشت فيه، إلى جانب تقديري لسلطان العلم الحديث وإنجازاته التي هي ثمرة نظريات جذورها ممتدة بأعماقها إلى الحضارة العربية الإسلامية، لقد زرت عددًا من المسارح الكبيرة، وشاهدت عددًا من المسرحيات القديمة، أو البرامج الخفيفة والترفيهية التي بدأت تحل

محلها، ولمست بنفسي تدهور المسرح القديم في وطنه الأول، ومناخه الملائم، إلى أشكال ومذاهب في التأليف المسرحي تقطع بطبيعة التضاد بين المزيد من البناء بالعلم والمزيد من التمويه بالدراما!!

كذلك فإن تجربتي حول موضوع "العرب والقصة" واتساعه بالدراسة المقارنة مع "العالم والقصة" قد زادت بعد هذه المشاهدات على المسارح الأوربية، والمناقشات مع المثقفين الشرقيين والغربيين حول المدلول الحقيقي لخفوت أنوار المسرح المعاصر، وتراجعها إلى مذاهب جديدة أكثر اهتمامًا بالقضايا الاجتماعية، وبالإنسان الذي يفتقر إلى من يقترب إليه "بالخطاب" على المسرح التعليمي بالأسلوب المباشر، وبالصدق الذي هو أحوج إليه في عصر العلم من أي رؤية خيالية، محكمة التمويه، لانبعاث المحاكاة مع واقع مخترع قد انتهى عصره.. وسقطت طبقته!

واليوم أنا أعود بهذا الكتاب إلى هذا الموضوع أو هذه الدراسة الموجزة – إلى حد ما –حول "قصة القصة عند العرب" ، وحول أن هذا النوع من القصص الذي يحكمه المنهج القرآني على أساس الصدق التاريخي، والصدق العلمي، والصدق في الهدف الإنساني – هو أجدر القصص في حياتنا المعاصرة، وحياة البشر بصفة عامة بالدراسة والاهتمام، والتوصل منه إلى هذا القانون الذي يقدم به القصص العربي القرآني هذا الشكل العلمي من أشكال الوحدة بين القوانين العلمية وبين الأدب..

إن هذه الدراسة بهذا الاتجاه الواسع، والتي تأخرت كثيرًا عن أوانها في حياتنا الفكرية إلى قرون طويلة وحتى هذا العصر – هي بحد ذاتها ركيزة من ركائز وحقائق الدين الإلهي الحق، الكامل في الإسلام، والذي يحدد بهذا الالتزام العام بالصدق حدود الحياة، وعلاقات المجتمع، وأهداف التواصل الاجتماعي في هذا المجتمع الديني العالمي والعصري

والصادق، في مقابل ما تحدده هذه الديانات الوضعية، والأيديولوجيات الإلحادية، التي تطمس بانقطاعها عن الصدق بالتعبير والأدب والفن الخيالي والتمويهي حدود الشمول العلمي لحركة هذه الحياة الجادة.

إن قصة القصص العربي الصادق، في حدود الخبر الصادق، والسيرة الأمينة للاماكن والعصور والناس والأفراد والأشياء.. هي قصة الجهاد الموحَّد على كل ساحات الحياة العربية بهذا الصدق العلمي الذي يزيده التعبير باللغة العربية المبينة جمالا في كمال النظم، وروعة الإيقاع، في داخل منظوماته العديدة التي يتسق فيها الواقع والحس مع العبير الأدبي والشمول الإنساني، وذلك في مقابل هذا الحلم العزائي المطوط في الخرافات الشعرية والأساطير، أو هذا الابتزاز الدرامي للنقائض الخفية، والآمال المحطمة، في تلك المسرحيات التي لم تتجاوز مهمتها تصنيع وتنويع العزاء للمقهورين والقاهرين، في عمليات تنويم وتخدير بالمؤثرات السمعية والبصرية والحركية من أجل هذا الانبعاث المريح أو المتوتر لمجموعة من أحلام اليقظة، تم بتوجيه السلطة التي يمثلها الإمبراطور أو الملوك والنبلاء أو الاحتكاريون.. والحزب !

إن قصة القصة العربية كما أحكيها وأدافع عنها في هذا الكتاب هي في حقيقتها قصة هذا الشروق الأول للحقيقة ذات الوجه الصبوح في واقع الإنسان الفطري، والحر، والمتحرك بحريته وفطرته إلى هدف شديد الوضوح في حياته.. هدف يتحقق به هذا الاتساق والانسجام بكل حواسه وعقله مع طبيعة شديدة الوضوح أيضًا، يراها تتحرك معه، وفيه، ومن حوله، بهذه التوافقية التي تظهر له في لغته الجميلة الشاعرة، وهي تعكس في أنغامها إيقاع هذه الطبيعة المنسجم مع حركته، بينما تتدفق في

كلماتها ومعانيها ونظامها الصوتي أفكار وكلمات هذه الطبيعة التي هي قوانين الله وحكمته تجري على لسانه، وتهديد إلى خالقه..

بهذا التوافق بين الإنسان العربي مع الطبيعة التي سخرها الله له باتجاه أفكارها وقوانينها، وليس ضد أفكارها وقوانينها، وحكمة الله فيها – تظهر جميع الأشياء أمامه في مواقعها كما هي بغير اختلاط، وتظهر في وحدة مع نفسها، وفي وحدة معه بغير انفصام.. وبهذا الصدق في الرؤية من خلال الحركة، والصدق في التعبير مع سلامة الحواس.. وجد هذا الإنسان العربي برهانه المتجدد والدائم على الله.. ووجد مع هذا البرهان بداية الطريق، كما وجد الهدف والمنهج والسكينة.. أي وجد سلامه النفسي الذي هو ذروة انتصاره بالحرية والإيمان وصدق العمل، وصدق العمل، وصدق التعبير.. شعرًا ونثرًا .. ومثلا وحكمة.. وأدبًا وخطابًا.

.. ثم لعلى بعد ذلك أن أكون بحكاية بعض المواقف في قصة هذا البحث قد مهدت طريقًا رحبًا أمام القارئ العربي ليتابع فصول هذه الدراسة بقدر كاف من الجد، وقدر كاف من الوضوح، حتى يرى رأيه فيه – إن شاء الله بقدر كاف ومثمر من الإنصاف..